بعينها اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه على
الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا بالحقيقة والصابر عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه
وحمل على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولانه حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس
له لشدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك
عن الآخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا
فمن هذه الوجوه قلنا ان احدهما لا ينفك عن الآخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق فصل
فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة
العنصر العظيمة القدر وتامل اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها وانما
يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله تعالى في الحكاية عن الكفار والرد عليهم اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين نظر اولئك الجهلة ان النعمة العظيمة والمنن الكريمة انما
تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم حسبا ونسبا فقالوا بل هؤلاء الفقراء بزعمهم من
العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمهم دوننا فقالوا على طريق الاستكبار و
مجرى الاستهزاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة فقال
اليس الله باعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد انما يعطي نعمته من يعرف قدرها وانما يعرف
قدرها من اقبل بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها ولا يعبأ بما يحمل من اعباء المؤنة في تحصيلها
ثم لا يزال قائما بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه
النعمة كلها ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغنائكم وجاهكم
وثروتكم ولا وجاهتكم في الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم في الانساب ولا حسبكم انما تحسبون
النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه لا الدين والحق ومعرفته وانما تعظمون
ذلك وتتفاخرون به الا ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين العلم والحق الا
عنه على ما اتاكم به ذلك لاستحقاركم ذلك وقلة مبالاتكم وان هؤلاء الضعفاء يقبلونه
اياه

انفسهم

انفسهم على ذلك ويبذلون فيه مهجتهم ولا يبالون بما فاتهم وبمن عاداهم مع ذلك لتعلم انهم هم الذين
عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب لهم احتمال كل شدة
يستغرقون جميع العمر في شكره فلذلك استأهلوا هذه المنة الكريمة والنعمة العظيمة في سابق علمنا
وخصصناهم بها دونكم فهذه هذه ثم اقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى بنعمة من
نعم الدين بعلم او بعبادة فانك تجدهم بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها و
اجدهم في تحصيلها واعظمهم في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم الله ذلك فلقلة حفظهم و
تعظيمهم لحقها بعد القول السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقية والعامة
مثل ما هو في قلوب العلماء المتعبدين لما آثروا اسواقهم وهان عليهم تركه الا ترى ان فقيها اذا ظفر
بتعليم مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويحل موقعها من قلبه حتى ربما لو
وجد الف دينار لما كان تعد ذلك وربما نجده امر مسئلة في باب الدين فيتفكر فيها سنة بل عشرا
بل عشرين واكثر لا يستكثر ذلك ولا يمل حتى ربما لو وجد الف دينار رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعده
اعظم منة واكبر نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف ثم ربما يبين هذه المسئلة ليحقق
او متعلم كسلان يرى نفسه انه مشغله الرغبة في العلم والمحبة له فلا يستمع اليه حقه وربما ان طال عليه
الكلام يمل وينام وان تبين ذلك له فلا يعده كبيرا وكذلك المنيب الى الله تعالى يجتهد ويذاب بالرياضة
وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والجم الاركان في الحركات والسكنات عسى ان يتم الله نعمة
له ركعتين في ادب طهارة وكم يتضرع الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة مناجاة بصفوة وحلاوة
فلئن ظفر بذلك في شهر مرة بل في سنة مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك اكبر منة واعظم نعمة وكم يرى وكم
يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقات وكابده من الليالي وهجره من اللذات فيها ثم ترى الذي
يزعم انه راغب في العبادة يحب ان يحصل شيء منها لو احتاج احدهم في تحصيل مثل هذه الفضيلة
الى نقصان لقمة من عشائهم او ترك كلمة لا تعنيهم او دفع نوم ساعة من اعينهم لم تسخ به انفسهم
بذلك ولا تطيب قلوبهم فان اتفق لهم في النادر حصول عبادة في صفوة لا يعده شيئا خطيرا ولا

يحب

القدر

العبادة

Copyright © King Saud University